P-2141

الجوانب النقدية
عند الشيخ ابن عثيمين
المتعلقة بأصول الفقه

إعداد
د.عبدالعزيز بن عبدالله بن علي النملة
أستاذ مساعد بقسم أصول الفقه
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

ورقة عمل مقدمة لـ :
ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية

٢١٤١

جامعة القصيم
Qassim University

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن من خدمة العلم دراسة مناهج كبار أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين؛ للاستفادة منها، والسير على طريقها، ولقد كان لعلماء المسلمين بدءًا بالصحابة، رضوان الله عليهم،(١) وحتى وقتنا الحاضر جهودًا في النقد على اختلاف أنواعه ومجالاته، وعلم أصول الفقه من العلوم التي تجاذبتها مدارس متنوعة كان لها أثر واضح في مسائل هذا العلم وقواعده أدى ذلك إلى الحاجة إلى نقدها، وتنقية هذا العلم منها، وهذا البحث جمع وترتيب وتحليل على عجل لجوانب النقد عند الشيخ ابن عثيمين المتعلقة بأصول الفقه أقدمه كورقة عمل لندوة: **(جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية)**.

ولا يخفى ما للشيخ محمد العثيمين، رحمه الله تعالى، من المكانة عند المسلمين في أركان الأرض، وما وضع له من القبول بين الناس، وانتشار مؤلفاته، التي صارت محط اهتمام الباحثين حتى بلغ عدد الرسائل العلمية المسجلة والمتعلقة بعلوم الشيخ ~ في عدد من الدول في آخر إحصاء سبعاً وأربعين رسالة منها واحدة في أصول الفقه(٢).

---

(١) طبع قريبًا رسالة علمية بعنوان: (نقد الصحابة والتابعين للتفسير دراسة نظرية تطبيقية) من إعداد د.عبدالسلام بن صالح الجار الله، دار التدمرية، ط ١، ١٤٢٩هـ.

(٢) يُنظر: عناوينها والجامعات المسجلة فيها في التقرير الموجز لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، شعبان ١٤٣٠هـ.

ومما يوضح أهمية هذا الموضوع ما يأتي:

١ ـ أن العناية بجوانب النقد المتعلقة بأصول الفقه له أثر في تنقية هذا العلم مما أدخل فيه من المباحث المنطقية، أو الكلامية، ونحوها.

٢ ـ إبراز ملامح المنهج النقدي عند الشيخ ابن عثيمين ~ وبيان أسسه ومجالاته، وطريقته في ذلك.

٣ ـ إبراز جهود علماء المملكة العربية السعودية من خلال الشيخ ابن عثيمين وعنايتهم بعلم أصول الفقه.

وقد انتظمت المادة العلمية في تمهيد وثلاثة مباحث كما يأتي:

❊ **التمهيد**: وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف النقد.

المطلب الثاني: خدمة النقد للعلوم الشرعية.

المطلب الثالث: عناية الشيخ ابن عثيمين بأصول الفقه.

❊ **المبحث الأول**: ملامح منهج الشيخ ابن عثيمين الاجتهادي.

❊ **المبحث الثاني**: نقد الشيخ ابن عثيمين لمباحث أصول الفقه.

وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: عبارات الشيخ ابن عثيمين في النقد.

المطلب الثاني: مجالات نقد الشيخ ابن عثيمين لمباحث أصول الفقه.

المبحث الثالث: ملامح نقدية عامة عند الشيخ ابن عثيمين.

وقد قمت باستقراء كتب الشيخ ~ وفتاواه ـ وخاصة في أصول الفقه ـ لجمع المادة العلمية، ومن ثم قمت بترتيبها وتحليلها؛ للاستفادة منها في استخراج

جوانب نقدية عند الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى.

وختامًا أسأل الله • أن ينفع بهذه الورقات، كما أسأله أن يغفر للشيخ ابن عثيمين، ويجمعنا به في مستقر رحمته، وأن ينفعنا بعلومه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التَّمهِيد

وفيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف النقد.

المطلب الثاني: خدمة النقد للعلوم الشرعية.

المطلب الثالث: عناية الشيخ ابن عثيمين بأصول الفقه.

المطلب الأول

تعريف النقد

أولًا: في اللغة:

النقد في اللغة يأتي لأحد ثلاثة معاني هي:

١ ـ تمييز الشيء والكشف عنه واختباره، ومن ذلك «نقد الدراهم» إذا كُشِفَ عن حالها ليُعْلَمَ رديئُها منْ جيدِها(١).

ونقدُ الكلامِ: تمييز جيدِه من رديئِه، وصحيحِه مِنْ فاسِدِه(٢).

٢ ـ صفةٌ للشيءِ الجيدِ المُستَحْسَنِ، يُقالُ: «درهمٌ نقد» إذا كان جيدًا(٣).

٣ ـ صفةٌ لِما يُعابُ ويُستكرهُ، فالنقدُ من النَّاس سفلتُهم، كما يُطْلَق (نَقَدَ) على غنم صِغارِ الأرجل قِباحِ الوجوهِ، كما يُسمى التكسرُ في الضِّرس، وتآكلُ الحافر وتقشُّره، وعيبِ النّاس وذمهم نقدًا(٤). وقد جاء في الأثر (إنْ نَقَدْتَ النَّاسَ نَقَدُوكَ)(٥) أي «إنْ عِبْتَهمْ قابلُوكَ بمثْلِهِ»(٦).

ثانيًا: في الاصطلاح:

النقد في الاصطلاح يشمل المعاني اللغوية الثلاثة فهو «عمليةٌ يبدأُ بالنظر والتمييزِ، وينتهي ببيان الجيدِ مِنَ الرديءِ، والصحيحِ من الفاسد، وهو مُسْتعملٌ في

---

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة ص ١٠٠٦ مادة (نقد)، وأساس البلاغة ص ٦٥٠.

(٢) يُنظر: المعجم الوسيط ص ٩٤٤ مادة (نقد).

(٣) يُنظر: معجم مقاييس اللغة ص ١٠٠٦ مادة (نقد).

(٤) يُنظر: تهذيب اللغة ٩/ ٣٧، والصحاح ٢/ ٥٤٤ مادة (نقد).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٧/ ١٩٩ و رجّح أنه من كلام أبي الدرداء > .

(٦) يُنظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ١٠٤

أكثرِ العلوم بهذا المعنى(١).

فهو بمفهومه العام يدل على الفحص والموازنة والتمييز والحكم، بمعنى فحص الأشياء ومعرفة صفاتها والتمييز بين جيدِها ورديئها والحكم عليها، أو «هو دراسةُ الأشياء وتفسيرُها وتحليلُها وموازنتُها بغيرها المشابهةِ لها، ثم الحكمُ عليها ببيان قيِّمِهَا و رديئِها(٢).

وبهذا يمكن تعريف النقدِ في العلوم الشرعية بأنه:

(فحصُ الأقوالِ في المسائلِ الشرعيةِ ومُناقشتُها وتمييزُها بصفاتها).

أي أنَّ الناقدَ يقوم بفحص الأقوال واختيارها، ومِنْ ثَمّ يحكمُ عليها إما بالجودة والقوة، أو الضعف وعدم الصحة، ومن ثم يمكن تعريف النقد في أصول الفقه بأنه:

(تمييزُ الصحيحِ منَ الضعيفِ من قضايا أصول الفقه).

المطلب الثاني

خدمة النقد للعلوم الشرعية

أصول النقد ترجعُ إلى عصر النبي ﷺ فهو أولُ من قام بذلك فيما يتعلقُ بالعلوم الشرعية، وفي السُّنةِ النبوية أحاديثُ في هذا الجانب اشتملت على نقد منهج، أو نقدِ قولٍ و رأيٍ، أو نقد لعمل مبني على فهم خاطئ.

والنقد النبويُ يَردُ دفعًا لخطأٍ قبلَ وقوعه، أو بيانـًا للفهم الصحيح، أو رفعًا للخطأِ بعد وقُوعهِ(٣)، وقد خدمَ النقدُ العلوم الشرعية المختلفة، وبيانُ شيء من ذلك كما يأتي:

---

(١) يُنظر: نقد الصحابة والتابعين للتفسير ص ١٦

(٢) يُنظر: أصول النقد الأدبي ص ١٥- ١٦

(١١) يُنظر: نقد الصحابة والتابعين للتفسير ص ٢٦

أولًا: النقد في القراءات والتفسير:

فَحْصُ القراءاتِ والنظرُ فيها منْ حيث الإسناد، والرسم واللغة واختيار الأفصحِ، والتمييزِ بين المتواتر والشَّاذ منها وُجِدَ متقدمًا.

وقد اشتهرَ عددٌ مِنَ الأئمة المتقدمين بذلك كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ) وغيرهما(١).

وبناءً على اختلاف أئمة القراءات في النقد اختلفوا في الحكم على بعض القراءات.

وأما التفسيرُ فقد حرصَ المفسرون على نقد الأقوال الشاذة والغريبة والضَّعيفة على تفاوت بينهم في المراد بها، ومن عباراتهم في ذلك عن ابن عطية قوله: «هذا قول ضعيف من معناه منكور»(٢)، وقوله «هذا تعسف»(٣)، و قوله «وهذا قول متداع»(٤).

ومِنَ الدراسات المهمة فى هذا كتاب (الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، د. محمد حسين الذهبي(٥).

ثانيًا: في الحديث:

للنقدُ الحديثي سواءً للسند أو المتن أهميةٌ كبيرة فهو طريقٌ للحكم على الحديث بالصحة أو عدمِها، ويُصَرِّحُ بذلك ابن أبي حاتم فيقول: «فلما لم نجد سبيلا إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله، ولا في سُنة رسول الله ﷺ إلا من جهة النقل

---

(١) يُنظر: قواعد نقد القراءات القرآنية

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٣٩

(٣) المحرر الوجيز ١/ ١٣٨

(٤) المحرر الوجيز ١/ ٣١١

(٥) هو «محمد حسين الذهبي» باحث مفسر من كبار علماء الأزهر، تُوفيَ مقتولاً، من مؤلفاته «التفسير والمفسرون». ينظر: إتمام الأعلام ص ٢٣١.

والدراية وجب أن نميز بين عدول النقلة والرواة وثقاتهم..»(١).

ولهذا حرص علماء الحديث على وضع قواعد النقد سواءً المتعلقة بنقد الرجال والحكم عليهم، أو قواعد نقد المتن، كما وجدت فى بعض العصور بعضُ الدوافع التي شاركت فى اهتمام المحدثين بذلك مثل ظهور الفتن أو التعصب الفقهي(٢).

المطلب الثالث

عناية الشيخ ابن عثيمين بأصول الفقه

للشيخ محمد العثيمين ~ عناية واضحة بعلم أصول الفقه تدريسًا وتأليفًا، إضافة إلى ذلك اعتنى كثيرًا بقواعد أصول الفقه، وفي ذلك يقول: «قاعدة عند العلماء يقولون: (من حرم الأصول حرم الوصول) وصدقوا»(٣).

وتتضح عناية الشيخ بعلم أصول الفقه من خلال بيان مؤلفاته فى هذا الفن، **وهي كما يأتي:**

١ ـ الأصول من علم الأصول، وهو كتاب مقرر على طلاب المعاهد العلمية للمرحلة الثانوية(٤).

٢ ـ شرح الأصول من علم الأصول، وقد طبع أخيرا وهو شرح للكتاب السابق(٥).

٣ ـ منظومة أصول الفقه و قواعده وشرحها، وقد نظمها الشيخُ تيسيرًا لأهم قواعد هذا الفن، وذكر أنه كانَ إذا مرت به قاعدة مهمة نظمها وأضافها إلى

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٥.

(٢) يُنظر: تاريخ النقد الحديثي وضوابطه ص ١١-١٢.

(٣) منظومة أصول الفقه وقواعده ص ٢٨.

(٤) وقد نظمه أحمد بن مود الجكني وطبع النظم في دار الحضارة - الرياض ط١ ١٤٢٥هـ.

(٥) بتحقيق: نشأت كمال، دار البصيرة، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٢هـ.

هذا النظم. ويقع النظم فى مائة وثلاثة أبيات، وهي مطبوعة مع شرحها(١)، كما شرحها تلميذه فضيلة أ.د. خالد ابن علي المشيقح في كتابه (العقد الثمين في شرح منظومة الشيخ ابن عثيمين)(٢).

٤ ـ شرح نظم الورقات، للعمريطي، وهو مطبوع.

٥ ـ التعليق على القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» وهو من مؤلفاته المتأخرة حيث ألقى أصله ضمن الدروس العلمية التي كان يعقدها عام ١٤١٨هـ، وقد طبع قريبًا(٣).

٦ ـ تعليق على قواعد ابن رجب، وهي موجودة فى ثمانية عشر شريطًا، كما أدرجها الشيخ مشهور آل سلمان فى تحقيقه وتعليقه على قواعد ابن رجب فى طبعته الجديدة.

٧ ـ شرح لمختصر التحرير، ويقع فى سبعة عشر شريطًا.

٨ ـ شرح التعبيرات الواضحات عن شرح الورقات، وهي موجودة في تسعة أشرطة(٤).

كما تبرز عناية الشيخ ابن عثيمين بعلم أصول الفقه من خلال عنايته بتخريج الفروع على قواعد أصول الفقه ومقاصد الشريعة، وفي المقابل له عناية واضحة من خلال مؤلفاته في أصول الفقه بذكر التطبيقات الفقهية، وعرض النوازل المعاصرة، وذلك ملاحظٌ وجليٌ لمن يطالع أحد الشروح السابقة، بل إنَّ كل من يطالع فتاوى الشيخ ~ أو يستمع إليه يلحظ اهتمامه بربط الفروع بأصولها مبينًا القاعدة فى ذلك.

وفى صفحات هذا البحث سيتجلى جانب من عناية الشيخ ابن عثيمين بأصول الفقه.

---

(١) دار ابن الجوزي ط١ ١٤٢٦هـ، ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ (٨٠) بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

(٢) وهو مطبوع بعناية: محمد بن مفتاح الفهمي، وإبراهيم بن أحمد الحميضي، مكتبة الرشد ط١، ١٤٢٧هـ.

(٣) ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ (٨٢) بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية ط ١، ١٤٣٠هـ.

(٢٥) الأشرطة الصوتية من إنتاج مؤسسة الاستقامة، عنيزة.

المبحث الأول

ملامح منهج الشيخ ابن عثيمين الاجتهادي

المتأملُ في مؤلفات الشيخ ابن عثيمين ~ وفتاواه تظهر له ملامح من منهجه الاجتهادي التي يحسن التوطئة بها لبيان جوانب نقدية عنده في أصول الفقه، ولعل أهم المؤثرات فى صياغة منهجه الاجتهادي الإلمام الواسع والاهتمام الكبير بعلم ثلاثة من الأعلام وهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وشيخه العلامة عبدالرحمن السعدي.

وقد تميز هؤلاء الثلاثة بالاطلاع الواسع على كتب الخلاف مع العناية الكبيرة بعلم أصول الفقه ومقاصد الشريعة، والتطبيق الدقيق لقواعد الاستنباط مع العناية بالدليل والربط بين التأصيل والتطبيق، ومن أهم ملامح المنهج الاجتهادي للشيخ ابن عثيمين ما يأتي:

أولاً: الاهتمام بالدليل الشرعي مع بيان كيفية الاستدلال به

وهذا ظاهر جدًا، فغالبًا ما يُتبع الشيخ ابن عثيمين الحكم الشرعي بدليله أو تعليله من خلال ذكر الدليل النقلي أو العقلي بشتى أنواعهما مع الحرص على القياس الصحيح، وفي ذلك يقول: «ونحن لا نخرج عما دلّ عليه كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ لأننا متعبدون بشرع الله»(١).

وقد صرّح في مواضع بأن قوله وفتواه هي بمقتضى الدليل، ولو وجد غير ذلك لقال بمقتضاه، ومن ذلك ما ذكره في فتواه باعتبار من بقي في بلد سافر إليها مسافرًا دون تقدير مدة معينة ولو طال السفر حيث قال: «ما دام عازباً عن بلده ولم

---

(١) الشرح الممتع ١/١٦٦، ومن أمثلة ذلك استدلاله لحجية قول الصحابي لما رجح ذلك كما في شرح نظم الورقات ص ١٧٥.

يتخذ البلد الثاني وطنا فهو مسافر، كل من بقي لحاجة متى انتهت رجع فهو مسافر سواء عين المدة أم لم يعين لأن أي تقدير تقدره مثلا: إن قدرت ثلاثة أيام، قلنا: ما دليلك؟ وإن قدرت شهرًا أو سنة، قلنا: ما دليلك؟... ومن وجد دليلا فليتفضل به، ونحن إن شاء الله تعالى آخذون على أنفسنا بأننا إذا تبين لنا الدليل أن نأخذ به، وقولنا ليس بمعصوم نحن نخطئ كما يخطئ غيرنا»(١).

ثانيًا: الحرص على بيان حكمة الشارع وإظهارها والاستفادة منها في استنباط أحكام الشريعة وإبراز مقاصد الشريعة ومراعاتها عند الاجتهاد

ومن ذلك القول بجواز وضع المكبرات الصوتية بالمساجد، لأنّ مقاصد الشريعة إسماع الناس الآذان والدعوة إلى الصلاة وإبلاغهم المواعظ والخطب(٢).

ثالثًا: النظر الدقيق في أدلة المخالفين ومناقشتها بتجرد وبيان الإجابة عليها

فهو يناقش الأدلة من غير نظر لقائليها محاولاً الجمع بينها، والوصول إلى أقرب الأقوال للصواب.

رابعًا: الاهتمام بالتخريج على قواعد أصول الفقه

فكثيرًا ما يذكر عند بيان الحكم الشرعي فى كتبه وفتاواه الأصل المعتبر في ذلك، والقاعدة التي استعملها فى الاجتهاد وقد صرح بأهمية ذلك فقال: «فإن من المهم في كل فن أن يتعلم المرء من أصوله ما يكون عوناً له على فهمه وتخريجه على تلك الأصول ٍليكون علمه مبنيا على أسس قوية ودعائم راسخة وقد قيل: (منْ حُرِمَ الأصولَ حُرِمَ الوصول»(٣).

---

(١) لقاءات الباب المفتوح ١/ ٣٨.

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٢/ ١٧٠، ومنظومة أصول الفقه وقواعده ص ٧٩.

(٣) ينظر: أصول في التفسير ص ١١، ويُنظر مثال آخر لذلك في منظومة أصول الفقه وقواعده ص ٧٠، وشرح نظم الورقات ص ١١٠.

ولِتَميزِ الشيخ ابن عثيمين في هذا الجانب أنجز أحد الباحثين رسالته للماجستير عن تخريج الفروع على الأصول عند الشيخ ابن عثيمين(١).

خامسًا: العناية الواضحة بالفروق والتقاسيم

تلك العناية الظاهرة في مختلف الفنون التي اشتغل بها الشيخ ابن عثيمين تدريسًا وتأليفًا، ومن تلك الفروق مما يتعلق بأصول الفقه كبيانه الفرق بين العموم والإطلاق حيث أفرد لذلك مسألة مستقلة حرر فيها الفرق في قرابة صفحتين(٢)، ومنه ـ أيضًا ـ بيانه للفرق بين السبب والشرط(٣) وغيرهما.

كما اهتم الشيخ وتميز بالعناية بالتقاسيم ومن ذلك تقسيم المحرم إلى ثلاثة أقسام(٤)، وكذلك تقسيم تارك المحرم من حيث الإثم إلى ثلاثة أقسام(٥).

سادسًا: التجرد للحق

ولهذا خالف في عدد من المسائل من اشتهر بموافقة اجتهادهم، فخالف شيخ الإسلام ابن تيمية بمسائل منها: حكم صلاة الجماعة حيث يرى ابن تيمية أنها شرط، ورجح الشيخ ابن عثيمين أنها واجبة على الأعيان(٦).

كما خالف شيخه العلامة السعدي بمسائل منها: أنّ السعدي يرى أن المصلي مخيرٌ بين وضع اليمنى على اليسرى أو إرسالهما بعد الركوع، ويرى الشيخ ابن

---

(١) هو الشيخ خالد بن عبدالرحمن الشاوي، بعنوان: (تخريج الفروع على الأصول عند الشيخ محمد بن عثيمين في الحكم الشرعي والأدلة والأمر والنهي والحقيقة والمجاز) جمعا ودراسة، قسم أصول الفقه، كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٩هـ.

(٢) يُنظر: شرح نظم الورقات ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) يُنظر: الشرح الممتع ١/ ٢٣٦.

(٤) يُنظر: الشرح الممتع ١/ ٤٠٢.

(٥) يُنظر: شرح نظم الورقات ص ٣٣.

(٦) يُنظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين ١٥/ ٢٠٢.

عثيمين أنّ ما بعد الركوع كالذي قبل الركوع(١).

سابعًا: عنايته بالحديث واهتمامه بنقد المتن

ولعل مما ساعده على ذلك عنايته بشرح كتب الحديث، سواءً كتب السُّنة كالبخاري ومسلم، أو كتب أحاديث الأحكام كعمدة الأحكام أو المنتقى أو بلوغ المرام، يؤيد ذلك من خلال الحكم على الحديث بالضعف من جهة السند والمخالفة للأصول وعدم تلقي الأمة بالقبول(٢).

---

(١) يُنظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٣/ ١٨.

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين ٢٣/ ١٧٥.

المبحث الثاني

نقد الشيخ ابن عثيمين لمباحث أصول الفقه

وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: عبارات الشيخ ابن عثيمين في النقد.

المطلب الثاني: مجالات نقد الشيخ ابن عثيمين لمباحث أصول الفقه.

المطلب الأول

عبارات الشيخ ابن عثيمين في النقد

إنَّ الناظر في مؤلفات الشيخ ~ في أصول الفقه يُلاحِظُ تقييمه للأقوال، وحكمه عليها بالصحة أو الخطأ، كما يقوم ~ بالمقارنة بين الأقوال، وهذه وظيفة العَالِم الناقد، وفي ذلك يستعمل عبارات متنوعة متفاوتة في القوة، منها ما يكون لتضعَيف الرأي، ومنها ما يكون لتصحيحه أو تقويته، وبيان ذلك كما يأتي:

أولا: عبارات التضعيف و الرَّد:

١) عبارة (فيه نظر):

من العبارات النقدية التي يستعملها الشيخ بكثرة في نقد الآراء والتعريفات وغيرها، عبارة (**فيه نظرٌ**)، ويستعمل في النقد إذا لم يصلِ الموجَّهُ إليه النقدُ إلى البطلان، ومن ذلك لما ذكرَ أقسام الحكم التكليفي الخمسة في شرح نظم الورقات، قال: «أضاف المؤلف ~ الصحيح والفاسد إلى الأحكام التكليفية وفيه نظر»(١)، ثم علل ذلك، وبيَّن وجه الضعف فيه بقوله: «فإذا فعل المكلّف الصلاة على وجه سليم، تام الشروط، خال من الموانع، نُسمي ذلك صحيحا»(٢)، وقد يزيد بأن القول فيه نظر ظاهر(٣).

٢) عبارة (يُنَازع):

يستخدم الشيخ ~ عبارة (**يُنَازعُ فيه**) بمعني قريب من العبارة السابقة،

---

(١) شرح نظم الورقات ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧، وينظر مثال آخر ص ٨٨ و ص ١٦٣، والتعبيرات الواضحات شريط (١) وجه ب، ومثال آخر في شرح مقدمة المجموع ص ٧٧.

(٣) يُنظر: شرح مقدمة المجموع ص ٧٢.

وخاصة في الحكم على بعض الآراء عند عدم وجاهتها في نظره ~ . ومن ذلك قوله: «فهذا وجه انحصار الأحكام لخمسة أقسام، لكن المؤلف ذكر قسمين يُنازعُ فيهما»⁽¹⁾.

٣) حكاية الرأي بأسلوب التَّضعيف:

يورد الشيخ ~ بعض الآراء بصيغة التمريض و التضعيف لأنها مرجوحة في نظره، بل قد تكون ظاهرة الضعف، ومن أمثلة ذلك والتي ذكر فيها ~ بعض الطرافة، قال:

«وقوله ~ (وقيل في الفروع يمنع الخطأ) قيل هذه صيغة تضعيف في الفروع يعني أنّ المجتهد في الفروع مُصيب بكل حال، وهذا القول يستحق أن يُوردُ بصيغة التمريض، بل ينبغي أن يوردَ بصيغة الإماتة، بل ينبغي أن يوردَ بصيغة الدفن إلى أبد الآبدين»⁽²⁾.

٤) عبارة (باطل):

يُصرح الشيخ ~ بلفظ البطلان، ويصف به الرأي إذا ظهر له ذلك وجزم به، ومن أمثلة ذلك لما عرض لقول: أنّ المجتهد في الفروع مُصيب بكل حال، عقَّب عليه بقوله: «وهذا القول باطلٌ، إذ لا يمكن أن يكون قولان متضادان كلاهما صواب، وهذا أيضا كما أنه مناف للعقل فهو مناف للسمع»⁽³⁾.

٥) التعبير بالزعم:

يصف الشيخ ابن عثيمين القول الذي يرى ضعفه بأن زعم من صاحبه، ومن ذلك

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧.

(٢) شرح نظم الورقات ص ٢٣١.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣١.

لما أورد القول بحجية المصالح المرسلة قال عنه : «زعم بعض الأصوليين»(١).

٦) وصف القول بأنه غير صحيح.

يصرح الشيخ ابن عثيمين بأن القول غير صحيح، ومن ذلك قوله: «وأما ما ذهب إليه بعض العلماء من أن فعله لا يخصص قوله، ولا ينقله عن حكمه الأصلي اللفظي فهذا غير صحيح»(٢).

ثانيًا : عبارات في التقوية والتصحيح:

يُطلق الشيخ ابن عثيمين بعض العبارات على تقوية قول أو دليل أو إثبات صحتها، ومن عبارات الشيخ ~ عندما يَثْبت لديه الأمر، ويقف على دليله، ويظهر له ذلك أن يصرح بعبارةٍ تدل على قوة ذلك الرأي، ومن ذلك أن ينص على أنّه هو المتعين، ومن ذلك قوله: «خبر الآحاد على رأي المؤلف لا يفيد إلا الظن، والصواب أنه يفيد العلم لكن بقرينة، وقد صرح بذلك ابن حجر في النخبة، وهذا القول هو المتعين»(٣).

كما يصف القول بأنه هو الصحيح، أو الأصح حسب ما ظهر له من قوة الدليل ووضوحه، وعدم وجود معارض له.

---

(١) منظومة أصول الفقه وقواعده ص ٣٣.

(٢) منظومة أصول الفقه وقواعده ص ١٠٩، ويُنظر مثال آخر في شرح نظم الورقات ص ٢٣٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٨٤.

المطلب الثاني

مجالات نقد الشيخ ابن عثيمين لمباحث أصول الفقه

أولا: نقد التعريفات:

للشيخ ~ عناية خاصة بتحرير الحدود والتعريفات، ولذلك اهتم بنقدها وبيان جوانب الضعف فيها، ومن أهم تلك الجوانب التي يحرص على بيانها بالتعريفات ما يأتي:

١ ـ نقد التعريف بوجود الدور فيه:

يعترض الشيخ ~ على كثير من التعريفات إذا وجد فيها دورا مؤكدا أنّ ذلك عيب في الحدود والتعريفات، ومن أمثلة ذلك في تعريف العلم، قال: «العلم هو معرفة المعلوم المطابقة لوصفه، وهذا التعريف انتقض بأن فيه دورا، لأنك إذا قلت: عِلْمُنا معرفةَ المعلوم صار تحصيلَ حاصل، لأن المعلوم معلوم من قبل علمك فيكون فيه دور»(١).

٢ ـ نقد التعريف لعدم الوضوح فيه:

يحرص الشيخ ~ على الوضوح والسهولة في التعريفات، ولذلك قد ينتقد التعريف لعدم الوضوح فيه في الدلالة على المراد، ذلك أن الحدود والتعريفات يراد بها تصور المحدود لبناء الحكم على ذلك التصور، وهذا لا يكون فى الحد إذا كان فيه غموض، ومن أمثلة ذلك عند تعريف الرخصة قال: «وفي الشرع عرفها الأصوليون بتعريف قد يكون فيه صعوبة، و لو أنهم قالوا إن الرخصة في الشرع «التسهيل» أي ما سُهِّلَ فيه لسبب من الأسباب، لكان هذا أسهل وأقرب للفهم»(٢).

---

(١) شرح نظم الورقات ص ٤٢.

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ١/ ٣٩١، ويراجع: شرح مختصر التحرير شريط ١٤/ وجه أ.

٣ ـ نقد التعريف لوجود التطويل فيه:

من العيوب في التعريفات التي ينبه عليها الشيخ ~ وجود التطويل في ألفاظ التعريف، ومن أمثلة ذلك لما عرّف الواجب قال عنه هو: «ما حُكِمَ بثواب فاعله وحكمَ بالعقاب على تاركه، وهذا التعريف فيه شيء من التطويل، ولهذا عرفه بعضهم بأنه: «ما أُثيبَ فاعله امتثالا، واستحق تاركه العقاب»⁽¹⁾.

ثانيًا: نقـد قواعد أصول الفقـه:

للشيخ ابن عثيمين ~ اهتمام بنقد بعض قواعد أصول الفقه ومسائله، كنقده للمسائل التي لا ثمرة لها⁽²⁾، أو نقده لمسائل أدخلت في أصول الفقه وليست منه⁽³⁾، ومما وقفت عليه من ذلك ما يأتي:

١ ـ نقد أن حكم الحرام: ما أثيب فاعله واستحق العقاب تاركه

فقد ذكر الشيخ حكم الحرام عند الجمهور، وتعقبه بأنه ليس على إطلاقه فقال: «المحرم ما عوقب فاعله وأثيب تاركه، هكذا قال كثير من الأصوليين بالإطلاق، المحرم ما أثيب تاركه؛ لكن مع ذلك لابد من تفصيل في هذه المسألة؛ لأنها مهمة فليس كل تارك للمحرم يكون مثاباً»⁽⁴⁾.

ثم فصل حكم فاعل المحرم بأنه لا يخلو من أحد **أربعة أقسام هي**:

أ ـ أن لا يطرأ على باله أنه محرم فهذا لا يُثاب على الترك.

ب ـ أن يهم بفعل المحرم فيتركه لله فهذا يُثاب على الترك.

ج ـ أن يتمنى المحرم ولم يسع في تحصيله فهذا يُعاقب على النية.

---

(١) شرح نظم الورقات ص ٢٩.

(٢) يُنظر: شرح نظم الورقات ص ٢٠٧.

(٣) يُنظر: تخريج الفروع على الأصول للشاوي ص ١٩٣.

(٤) شرح نظم الورقات ص ٣٣.

د - أن يهم بالمحرم ويسعى لتحصيله لكنه يعجز عنه فهذا يُعاقب عقوبة الفاعل(١).

٢ - نقد القول بوجود المجاز في اللغة :

فقد صرح الشيخ ابن عثيمين ~ بأن تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز تقسيم «نوزع فيه ولم يكن معروفًا في عهد الصحابة ولا في عهد التابعين، وإنما برز في عهد تابعي التابعين ثم انتشر وتوسع»(٢).

ثم ذكر أن الصحيح هو اختيار ابن تيمية(٣) من أنه لا مجاز في اللغة العربية وأن جميع التركيبات والكلمات في محلها حقيقة؛ لأنه لا يصح نفي مدلوها في محلها أبدًا، وهذا هو علامة الحقيقة(٤).

٣ - نقد القول بالمصالح المرسلة :

من الأدلة المختلف فيها عند الأصوليين المصالح المرسلة، ويرى الشيخ ابن عثيمين أن هذا الأصل لا يخرج عن بقية الأصول فيقول «ما زعمه بعض الأصوليين من الأصل الخامس، وهو المصالح المرسلة، والحقيقة أن هذا الأصل لا يخرج عن بقية الأصول؛ لأن هذه المصالح إن شهد لها الشارع بالصحة فقد ثبتت بالشرع: الكتاب والسنة، وإن لم يشهد لها بالصحة فليست مصالح وإن زعم قائلوها أنها مصالح»(٥).

---

(١) يُنظر: شرح نظم الورقات ص ٣٣-٣٤.

(٢) شرح نظم الورقات ص ٦٤.

(٣) يُنظر: مجموع الفتاوى ٧/ ٩٠.

(٤) شرح نظم الورقات ص ٦٥.

(٥) منظومة أصول الفقه وقواعده ص ٣٣.

٤ ـ نقد شروط الاجتهاد :

صرح الشيخ ابن عثيمين بنقد شروط الاجتهاد فقال: «هذه الشروط لو أردنا أن نطبقها لم نجد مجتهدًا منذ تسعمائة سنة؛ لأنها شروط قاسية»(١).

٥ ـ نقد تقسيم الدين إلى أصول وفروع :

صرح الشيخ ابن عثيمين بخطأ هذا التقسيم فقال: «نقول: أصل تقسيم الدين إلى أصول وفروع لا صحة له، وليس معروفـًا بالكتاب والسنة»(٢).

٦ ـ نقد ترتيب مسائل أصول الفقه :

نبه الشيخ ابن عثيمين إلى أهمية ترتيب بعض المسائل، ومن ذلك في شرح نظم الورقات لما ذكر الناظم مسائل العام ثم بدأ بالخاص، وعرض فيه للتخصيص قال الشيخ: «ولو جعل المؤلف التخصيص في باب العام لكان أوضح فيقول مثلاً: باب العام ثم يذكره، ثم يُقال: ويخصص العام بكذا وكذا»(٣).

وفي موضع آخر انتقد الشيخ ابن عثيمين تأخير مسائل النسخ فقال: «كان الذي ينبغي أن يذكر المؤلف ~ باب النسخ بعد باب العام والخاص؛ لأن التخصيص نسخ الحكم في بعض الأفراد، والنسخ رفع الحكم عن جميع الأفراد»(٤).

---

(٥٨) شرح نظم الورقات ص ٢٢١.

(٥٩) شرح نظم الورقات ص ٢٣٢.

(٦٠) شرح نظم الورقات ص ١١٣.

(٦١) شرح نظم الورقات ص ١٥٢.

المبحث الثالث

ملامح نقدية عامة عند الشيخ ابن عثيمين

بعد مطالعة لكتب الشيخ تظهر بعض الملامح العامة ذات العلاقة بالجانب النقدي يمكن إجمالها بما يأتي:

أولاً: الرجوع في كل مسألة إلى أهل الفن

فيهتم الشيخ في مؤلفاته بالرجوع إلى دراسة كل مسألة إلى أصحاب الفن، فإن عرض حديث بين حكم أهل الحديث في درجته، وحرر ذلك، وإذا كان المقام في مسائل اللغة والنحو ذكر رأيهم، ومن ذلك لما ذكر أقل الكلام: «وعليه فلا يمكن أن يكون الكلام لا من اسم وحرف، ولا من فعل وحرف، وهذا الذي ذكرته هو الذي حرره النحويون، وهم أعلم من أهل أصول الفقه فيما يتعلق باللغة العربية»(١).

ثانيًا: نقد المسائل التي لا ثمرة لها

يحرص الشيخ ابن عثيمين ~ على بيان المسائل التي لا ثمرة لها، ومن ذلك مسألة حكم الأشياء قبل بعثة الرسل لما أوردها قال: «هذه مسألة تنازع الناس فيها، وهو نزاع لا طائل تحته»(٢).

ثالثًا: العناية بضرب الأمثلة

يعتني الشيخ بضرب الأمثلة سواء للتعريفات أو للقواعد الأصولية وثمرتها، أحياناً من القرآن، أو من السنة، وأحياناً من كلام الفقهاء أو من الواقع، ومن ذلك لما عرف العام مثل له فقال: «الكافر في النار، فأل هنا للعموم مع أن (كافر) مفرد؛ لكن دخلت عليه (أل) وعلامة (أل) التي للعموم أن يحل محلها (كل)»(٣).

---

(١) شرح نظم الورقات ص ٦١.

(٢) شرح نظم الورقات ص ٢٠٧، ويُنظر مثال آخر في ص ٢١٠.

(٣) شرح نظم الورقات ص ١٠٣، ويُنظر مثال آخر في النكرة بعد النفي تعم ص ١٠٧.

رابعًا: الاهتمام بربط مسائل أصول الفقه بالواقع عند الفقهاء

يحرص الشيخ ~ على بيان المسائل الأصولية التي خالف فيها الفقهاء من حيث الاستعمال ما يذكره علماء أصول الفقه في مصنفاتهم، ومن أمثلة ذلك عند الأصوليين أن العلم يقابله الظن والوهم والشك، ويفرقون بين هذه الثلاثة، أما الفقهاء فلا يفرقون بينها، وفي ذلك يقول: «أما الفقهاء رحمهم الله فالغالب عندهم استعمال الشك في مقابل اليقين فيشمل الثلاثة الظن والوهم والشك على السواء»(١).

خامسًا: الحرص على الجمع بين الأقوال

تميز الشيخ ابن عثيمين ~ بالحرص على التوفيق بين الأقوال والجمع بين الآراء، ومن ذلك في المفاضلة بين العلم والجهاد جمع بين من فضل الجهاد، ومن فضل العلم بأن ذلك يختلف باختلاف الفاعل واختلاف الزمن فقد يكون الجهاد لشخص أو زمن أفضل، وقد يكون العلم لشخص أو في زمن أفضل(٢).

سادسًا: العناية بتحرير محل النزاع

من الجوانب المهمة عند الشيخ ابن عثيمين ~ عند ذكر مسائل الخلاف حرصه على تحرير محل النزاع، وخاصة عندما يكتنف المسألة شيء من الغموض، ومن ذلك لما ذكر شرع من قبلنا وحكم الاحتجاج به قال: «ما وافقته شريعتنا فهو حق ونتبعه وهذا بالإجماع واتباعنا إياه لا لأجل وروده في الكتاب السابق ولكن لشريعتنا، وما خالف شريعتنا فلا نعمل به بالاتفاق؛ لأنه منسوخ، ومثاله لا يحرم على الناس أكل الإبل في وقتنا مع أنها على بني إسرائيل اليهود خاصة ـ كانت محرمة، ومالم يرد شرعنا بخلافه ولا وفاقه فهذا محل الخلاف»(٣).

---

(١) شرح نظم الورقات ص ٥٠-٥١.

(٢) شرح الأربعين النووية ص ١٦.

(٣) شرح الأربعين النووية ص ٤٣.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فقد عرض البحث إلى تعريف النقد وبيان دوره في خدمة العلوم الشرعية، ومنها علم أصول الفقه، كما تم التعريف بالجهود العلمية للشيخ ابن عثيمين في أصول الفقه من خلال شروحه لمتون هذا الفن، وما ألفه ابتداءً في منظومة أصول الفقه وقواعده وشرحها، ثم استعراض عدد من جوانب النقد عند الشيخ ابن عثيمين المتعلقة بأصول الفقه من خلال بيان ألفاظ النقد، ومجالات النقد في مبحث هذا العلم، مع ذكر عدد من الأمثلة، ولعلي أوجز في الختام بعض النتائج كما يأتي:

أولاً : تميز الشيخ ابن عثيمين ~ بالجانب النقدي في أصول الفقه.

ثانيـًا : حرص الشيخ ~ على استعمال ألفاظ النقد المناسبة في مواضعها، وبعده عن التشنيع أو التجريح.

ثالثـًا : اعتماد الشيخ ~ في النقد على الكتاب والسنة والنظر الصحيح فما وافقها قبله، وما خالفها نقده.

كما أختم ببعض التوصيات وأهمها:

١ ـ أهمية تتبع مؤلفات العلماء الراسخين واستخراج مناهجهم النقدية لتستفيد منها الأجيال المتعلمة.

٢ ـ الاهتمام بالقواعد العامة في النقد وتفعيلها في أوساط طلاب العلم نشراً للحوار وقبولاً للرأي الآخر.

والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن، ينفعنا بما علمنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.